

بمناسبة انعقاد القمة العربية في بغداد

2012/3/23

بسم الله الرحمن الرحيم
السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته

دعني أبدأ بموفور الشكر والتقدير لكل مشاهديك، ولقناة بلادي، ولبرنامجكم المتألق، ولدورك الجيد والتميز في إدارة هذه الندوة، التي شكّلت حضوراً رائعاً، وتواشجت، وتناغمت فيها أصوات عربية من مختلف المناطق والجنسيات.. كلها عبّرت عن إحساس واحد، وبوصلة واحدة، وهي الحرص على إقامة مؤتمر القمة العربي الذي يعكس بمجموع آرائهم مجموع تطلعات، وتمنيات أبناء الأمة العربية في طولها وعرضها.

لو بدأنا بتوصيف هذا الملتقى، وتوصيف مؤتمر القمة العربي .. أعتقد أن بغداد انتقلت من كونها ملتقى الرفض العربي - للأسف - إلى ملتقى القبول العربي. كيف لا، وقد نوّهنا بهذه الحقيقة في عام 2003، وكانت 2012 استشرافاً مستقبلياً قلت لهم في جامعة الدول العربية، ومع الأستاذ (عمر موسى): إن العراق صاعد لامحالة، وإنه مستقلّ، وإن القوات الأجنبية ستخرج، وهكذا قطع العراق طريقه شوطاً بعد آخر، وإنجازاً بعد إنجاز من خلال مواسم الانتخابات، وتداول السلطة بشكل سلمي، وأخيراً خرجت القوات الأجنبية، وتجسّدت تلك المفاهيم والقيم والإرادة الوطنية العراقية على شكل واقع.. نحن اليوم أمام عراق صمّم أبناؤه وبناته على أن يكون وطنياً، ويلتقي مع الإرادات الوطنية العربية في مختلف المناطق..

يتميز مؤتمر القمة العربي المزمع عقده في بغداد بغياب الشخصية والانفعالات، التي طالما عبّرت عن إرادات شخصية لا عن إرادات شعوب: كالسجلات الشخصية بين معمر القذافي من جانب، وصادام قبله، أو من كان يمثل عزة الدوري من الجانب الآخر، وحسني مبارك، وغيرهم من الذين سقطوا واحداً بعد الآخر.

نحن اليوم أمام شيء جديد اسمه مؤتمر قمة الدول العربية، ولسنا أمام مؤتمر قمة الحكومات العربية.. التفريق بين الحكومة والدولة: هو إن الدولة تعبّر عن شعبها، والدول العربية اليوم بين من هبّت عليها رياح الربيع العربي، وبين من رضى عن شعوبها بهم، ونحن مع شعوبنا أساساً كما أننا مع الشعب العراقي، ومن خلال تمسّكنا بالشعوب ننقل، ونحدّد موقفنا من الحكومات؛ لذا يحق لهذا الموسم القادم (مؤتمر القمة العربي)، أن يسجّل تقدّماً رائعاً وملحوظاً يوم خرجت مصر في مرحلة مبارك عن إرادة الأمة العربية، على الرغم من كل ما تتميّز به، وقاطعت القمة عام 1979، واضطّرت جامعة الدول العربية أن تغيّر مقرّها من مصر إلى تونس؛ لتبقى الأمة

مؤثرة في ردود فعلها، واليوم نحن أمام فعل عربيّ لا أمام ردود فعل عربية، أعتقد أن هذا سيؤشّح المسيرة بشكل جيد.

أقول: إننا نتطلع إلى هذه القمة التي غابت عنها الشخصية بأن لا تكون قمة تحكم إنما هي قمة احتكام تحتكم إليها الشعوب، ويحتكمون إليها، وليست قمة تحكم تتخذ إجراءات فوقية.. لو اتخذنا من تجارب الاتحاد الأوروبي ومن خلال متابعتي للذين أثروا ندوتكم الموسومة (من العراق) ذكروا كثيراً، وتوقفوا عند الاتحاد الأوروبي، كان الثالوث الفاعل والكامن وراء سير الاتحاد الأوروبي هو الاقتصاد والأمن ثم السياسة، وهم بدأوا بعد جامعة الدول العربية، لكن سبقوا جامعة الدول العربية، نحن أقدم منهم من حيث التاريخ، وهم سبقونا من حيث الفعل والمصادقية.

السؤال هنا: لماذا هذا الذي حصل؟

بدأت السوق الأوروبية المشتركة تراعي المواطن، وتغذي المواطن بالمصلحة الاقتصادية المشتركة؛ فعبرت من خلال هذا الاتفاق المنتجات من بلد إلى بلد، وأشعرت المواطن الأوروبي أنه أمام شيء مشترك.. اقتصاد مشترك، وخدمات مشتركة سواء كان مأكولات أو ملبوسات أو مصنوعات أو أدوات منزلية بأنواعها كافة، وبدأت بعد ذلك حين كانت تتهدّد أي دولة أوروبية لقلّة إمكاناتها الأمنية تبتلعها دول أكبر، كما حصل لهتلر حين ابتلع جيكوسلوفاكيا السابقة وبولندا، وتقدّمت بألية أمنية؛ لحفظ أمن هذه الدول؛ فجاء حلف شمال الأطلسي وحلف النيتو، وأمّنت بذلك الجناح الثاني للطيران، وهو الجانب الأمني، ثم انتهت إلى اليوم بالاتحاد الأوروبي حيث البرلمان المشترك، والعلم المشترك، والكثير من القضايا الاعتبارية السياسية المشتركة.

هذه الأمور (الثالوث) كانت تقف عاملاً أساسياً ومهماً وراء الاتصالات التي حصلت، والتي انتهت إلى الاتحاد الأوروبي، ونحن نضيف عنصراً رابعاً وأساسياً وهو العنصر الثقافي بكل ما تعنيه كلمة ثقافة من معنى. إذا كان عصياً على الاتحاد الأوروبي أن يلجأ سريعاً إلى الثقافة؛ فذلك لتعدّد القوميات والديانات، والحروب الطاحنة التي حصلت بينها كحرب الـ 116 سنة التي تسمى (حرب المائة عام) بين فرنسا وبريطانيا.. كان التقارب الثقافي عصياً عليهم.

نحن ننتمي إلى لسان عربيّ واحد في الغالبية العظمى، وننتمي إلى دين واحد في الغالبية العظمى، ونتفاعل مع بقية القوميات والديانات، وهذا يضيف عنصراً رابعاً لهذا الثالوث وهو سرّ الانتصار هو العنصر الثقافي، وحين أقول: (العنصر الثقافي)، أعني يجب أن نكرّس عناصر الفن والشعر والأدب والرياضة؛ حتى تأخذ الدراما دورها في تحقيق قمة عربية تنطلق من الشعوب، وتنتهي إلى القيادات بشكل ديمقراطيّ يعبّر بأمانة عن إرادة الشعوب؛ فتكون جامعة الدول العربية جامعة شعوب أو جامعة دول، لا جامعة حكام أو أقصاها جامعة حكومات.

قضية فلسطين والملف الفلسطيني مسألة في غاية الأهمية؛ لأنها تمتلك العمق الاستراتيجي لتحريك الضمير العربي والإسلامي في طول وعرض العالمين العربي والإسلامي، ونجد أن الوعود التي تقطع لنصرة الشعب الفلسطيني حتى هذه اللحظة ليس لها مصداقية.

كان خطاب الرئيس الأميركي السيد باراك أوباما في 2009/6/4 في جامعة القاهرة قد أكد على أنهم لن يسمحوا بالاستمرار بقصف غزة وقتل الأبرياء، ولن يسمحوا بالاستمرار بالاستيطان، وهذه المفارقات تستمرّ بمرأى ومسمع العالم.

نحن اليوم ينبغي أن ننطلق لنصرة القضية الفلسطينية من زاوية فلسطينية وعربية وإسلامية وإنسانية وشعوب وأمم العالم تتفهم ذلك جيداً.. اليوم نواجه موجة من الحروب ليست تقليدية هي حرب الإرهاب، وإذا كنت قد قلتها سابقاً: (إن الإرهاب لا دين له، ولا مذهب له، ولا وطن له)، فنحن نجد اليوم أن بلدان العالم كلها تتعرض لهجمات الإرهاب، لا يخلو ليس فقط المؤسسات العسكرية والسياسية، بل لا تخلو الأسواق والمستشفيات ورياض الأطفال وكل مجالات الخدمات العامة من أن يدهمها الإرهاب في أي لحظة، ويقضّ عليها مضجعها؛ لذا تعددت المناطق والبلدان التي شملت بضحايا الإرهاب ومفارقاته، ولا بد أن يكون الردّ ردّاً إنسانياً مثلما يستهدف الإرهاب كله الإنسان كله لا بد أن تكون ردود فعلنا كذلك - ردوداً مدروسة - ونتعاون فيها مع دول العالم؛ حتى نواجه هذا الخطر.

الإعلام لا بد له أن يوحد الخطاب..

حين انطلقنا في 2003، وأكدنا في مجلس الحكم وفي الشهر الأول في الزيارة الأولى إلى جامعة الدول العربية بالقاهرة، وتحدثنا هناك مع السيد (عمرو موسى)، أمين عام جامعة الدول العربية، وقلنا له بضرر قاطع: إن العراق عربي المنطلق، وإن العراق عربي الاستمرار، وإن العراق عربي المآل، وها هي تلك القراءة اليوم تتحرك على أرض الواقع، وتحتضن أبناءها..

نتمنى لكل أبناء الشعوب العربية، وكل حكوماتها الوطنية التي تعمل من أجل شعوبها كل الخير، وستجد في بغداد ليس فقط بغداد التاريخ الموهلة بالقدم، كما قال عنها (سرجون الإكدي) قبل 2230 سنة قبل الميلاد: إن الذي يتحكم بقمّة العالم وقمّة الوجود - يقصد بغداد - يتحكم برياحها الأربعة، ليس بغداد التاريخ فقط بل بغداد الحاضر، ومن حقنا أن نأنس، ونفخر بتاريخنا، ونفخر بحاضرنا، وهذا ليس للعراقيين فقط، بل لكل أبناء الأمة العربية.

خير العراق لهم، كما إن خيرهم لنا، كذلك نحن أمة واحدة تربطنا عوامل كثيرة جداً.. تمنياتي لمؤتمر القمة العربية أن يقطع جدولته مفردة مفردة، ويخرج بانعطافة؛ حتى

يكون مؤتمراً نوعياً ليس بالطريقة التقليدية السابقة، ويضيف رصيذاً من الثقة إلى كل أبناء شعوب المنطقة، وكل المحبين وأصدقاء وأشقاء الأمة العربية..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.